بسم الله الرحمن الرحيم

الحديث الأول

قال رسول الله ﷺ :

« المؤْمنُ القوىُّ خيرٌ وأحبُّ إلى الله منَ المُؤمنِ الضَّعيف ، وفى كُلٍّ خيرٌ ، احرص على ما ينفعُكَ ، واستعن بالله ولا تَعجز ، وإن أصابكَ شىء فلا تَقُل : لو أنى فعلتُ كان كذا وكذا ، ولكن قل : قَدَّر الله ، وما شاء فعل ، فإن « لو » تفتح عمل الشَّيطَان » .

تخريجه :

الحديث أخرجه مسلم فى : الصحيح : كتاب القدر : باب فى الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله ٤ / ٢٠٥٢ رقم (٢٦٦٤) . ط عيسى الحلبى بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ، الأولى ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٥ م .

وابن ماجه فى : السنن : المقدمة : باب فى القدر ١ / ٣١ رقم (٧٩) ، كلاهما من حديث أبى هريرة مرفوعًا به ، وزاد ابن ماجه فى : كتاب الزهد : باب التوكل واليقين ٢ / ١٣٩٥ رقم (٤١٦٨) رواية أخرى عن أبى هريرة بنحو ما تقدم غير أنه قال فيها : « . . . فإن غلبك أمر فقل : قدَّر الله وما شاء فعل ، وإياك واللو ، فإن اللو تفتح عمل الشيطان » .

والإمام أحمد فى : المسند ٢ / ٣٦٦ ، ٣٧٠ بنحو رواية ابن ماجه الثانية إلا أنه قال : « . . . وما شاء صنع » .

معناه :

تتميز شخصية المسلم بأنها شخصية جامعة لكل خصال الخير ، فهى : مؤمنة عالمة ـ قوية ـ شجاعة ـ متجردة ـ صبورة ـ متأنية ـ أمينة ـ سخية ـ عفيفة ـ مجاهدة ـ رحيمة ـ لا تأخذها فى الله لومة لائم ـ ذكية ـ حريصة على كل ما ينفعها ـ مستعينة بالله ـ غير عاجزة ولا كسول ، راضية بقضاء الله وقدره ـ حذرة لا تدع فى حياتها مجالا أو مدخلا للشيطان . . . وهلمّ جرّا .

والحديث الذى نحن بصدد شرحه وبيان معناه الآن : دعوة صريحة وواضحة إلى التحلى والتخلق بواحدة من خصال الخير. أجل: إنه دعوة إلى التخلق والتحلى بالقوة، ولكى يكون لدينا تصور دقيق عن هذه الخصلة سنتناولها فى الفقرات التالية :

الفقرة الأولى : المراد بالقوة فى الحديث .

الفقرة الثانية : منزلتها من الإسلام .

الفقرة الثالثة : فوائدها ونماذج لها من حياة رجالات هذه الأمة .

الفقرة الرابعة : الطريق إلى اكتسابها والتحلى بها .

وذلك على النحو التالى :

أولا : المراد بالقوة فى الحديث :

ويراد بالقوة هنا فى هذا الحديث : عزيمة النفس الصادقة ، وهمتها العالية ، وإرادتها المتينة ، وذكاؤها الوقّاد ، وذلك ـ بالطبع ـ نابع من صحة البدن وسلامته من العلل والأمراض ، إذ قديما قالوا : « العقل السليم فى الجسم السليم » .

أما قوة الجسم مع خواء النفس وخرابها ، ومع العزيمة الفاترة ، والهمة الدانية ، والإرادة الهزيلة ، والغباء وتبلد الحس ، فذلك كله غير مراد من الحديث ؛ إذ كيف يحب الله من كانت هذه صفته وقد أهلك كثيرا من الأقوياء الجبابرة حين قطعوا أنفسهم عنه ، وتمردوا على حكمه ، وأداروا ظهرهم لمنهجه ، ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها ؟ ! ﴿ **أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٦) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (٧) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (٨) وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (٩) وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ (١٠) الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ (١١) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (١٢) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (١٣) إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ (١٤)** ﴾

[الفجر]

ثانيًا : منزلة القوة من الإسلام :

والقوة بهذا المعنى لها منزلة رفيعة ، ومكانة سامية من الإسلام ؛ إذ هى الطريق الوحيدة للقيام بواجب الجهاد الذى هو ذروة سنام هذا الدين ، بل هى الطريق الوحيدة لالتزام المسلم بإسلامه التزاما كاملا .

ولعل هذا هو السّر فى إشادة المولى ـ عز وجل ـ وأمره بها ، فقد وعدها عادًا قوم

هود قائلا على لسان هود عليه السلام :

﴿ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُم ﴾ [هود : ٥٢] ، وأمر بها قائلا : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾

[الأنفال : ٦٠]

وكذلك ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كثيرا ما كان يستعيذ بربه من كل أسباب ومظاهر الضعف « . . . وأعوذ بك من العجز والكسل . . . » (١) .

بل إنه صلى الله عليه وسلم حين أخبر عن المؤمن القوى بأنه خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، كان يرمى إلى الاهتمام بالقوة ، والحرص عليها ، وعدم التفريط فيها .

---

(١) الحديث بهذا اللفظ قطعة من حديث مطوَّل ، أخرجه أبو داود فى : السنن : كتاب الصلاة : باب فى الاستعاذة ٢ / ٩٣ رقم (١٥٥٥) من حديث أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم المسجد ، فإذا هو برجل من الأنصار يقال له : أبو أمامة فقال : « يا أبا أمامة ، مالى أراك جالسًا فى المسجد فى غير وقت الصلاة ؟ » قال : هموم لزمتنى وديون يا رسول الله ، قال : « أفلا أعلمك كلامًا إذا أنت قلته أذهب الله عز وجل همك وقضى دينك ؟ » قال : قلت : بلى يا رسول الله ، قال : « قل إذا أصبحت وإذا أمسيت : اللهم إنى أعوذ بك من الهم والحزن ، وأعوذ بك من العجز والكسل ، وأعوذ بك من الجبن والبخل ، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال » قال : ففعلت ذلك ، فأذهب الله ـ عز وجل ـ همى ، وقضى عنى دينى . وفى الباب غيره من حديث أنس رضي الله عنه بلفظ : « اللهم إنّى أعوذ بك من العجز والكسل ، والجبن ، والبخل ، والهرم ، وأعوذ بك من عذاب القبر ، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات » .

وبمثل وبنحو حديث أنس أخرج البخارى فى : الصحيح : كتاب الجهاد والسِّير : باب ما يتعوَّذ من الجبن ٤ / ٢٨ ،وكتاب الأطعمة : باب الحَيْس ٧ / ٩٩ ،وكتاب الدعوات : باب التعوُّذ من غلبة الرِّجال ، وباب التعوذ من فتنة المحيا والممات ، وباب الاستعاذة من الجبن والكسل ٨ / ٩٦ ـ ٩٨ .

ومسلم فى : الصحيح : كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار : باب التعوذ من العجز والكسل وغيره ٤ / ٢٠٧٩ رقم (٢٧٠٦) ، كلاهما من حديث أنس رضي الله عنه وزاد مسلم فى : باب التعوُّذ : « من شرِّ ما عمل ، ومن شرِّ ما لم يعمل » ٤ / ٢٠٨٨ رقم (٢٧٢٢) رواية أخرى من حديث زيد بن أرقم رضى الله تعالى عنهما .

ورواه البخارى عن أنس بن مالك رضي الله عنه بلفظ : « اللهم إنى أعوذ بك من العجز والكسل ، والجبن والهرم، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات، وأعوذ بك من عذاب القبر » ، الجهاد والسير : باب ما يتعوذ من الجبن ٤ / ٢٨ ، وكتاب الأطعمة : باب الحَيْس ٧ / ٩٩ ، وكتاب الدعوات : باب التعوذ من غلبة الرجال ، وباب التعوذ من فتنة المحيا والممات . وباب الاستعاذة من الجبن والكسل ٨ / ٩٦ ـ ٩٨ .

ومسلم فى : الصحيح : كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار : باب التعوذ من العجز والكسل وغيره ٤ / ٢٠٧٩ ، رقم (٢٧٠٦) ، وباب التعوذ من شر ما عمل ومن شر مالم يعمل ٤ / ٢٠٨٨ رقم (٢٧٢٢) ، ورواه الترمذى فى : السنن : كتاب الدعوات [صحيح الترمذى بشرح ابن العربى المالكى ١٣ / ٧٨] .

ثالثًا : فوائدها ونماذج لها من حياة رجالات هذه الأمة :

وانطلاقا مما قدّمنا ، فإن للقوة فوائد كثيرة منها :

١ ـ الجرأة فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر دون خوف أو مجاملة : كما وقع من أبى حازم مع عبد الملك بن مروان ، وكما وقع من عز الدين بن عبد السلام مع الظاهر بيبرس البندقدارى ، وكما وقع من شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم المعروف بابن تيمية مع غازان التترى ، وغير هذا كثير .

٢ ـ حب الجهاد ، والمسارعة فى الخروج إليه ، والجرأة فى الإقدام على العدو ، بل والذهاب فى طلبه ، كما صنع بلال مع سيّده أمية بن خلف فى غزوة بدر الكبرى ، وكما فعل عبد الله بن مسعود مع أبى جهل ـ زعيم الشرك والوثنية ، وكما وقع مع حنظلة بن أبى عامر غسيل الملائكة فى غزوة أحد .

٣ ـ الصبر على الأذى ، واحتمال المشاق فى ذات الله ، مثل ما وقع من المسلمين الأوائل فى مواجهة الأذى والاضطهاد ، ومثل ما هو كائن الآن فى مصر وفى سوريا وفى غيرهما من البلدان .

٤ ـ المحافظة على الشعائر التعبدية من صلاة ، وزكاة ، وصيام ، وحج ، وقراءة قرآن ، وذكر ودعاء ، واستغفار ، وصدقة تطوع ـ ونحوها ـ مع النشاط فى أدائها ، والإكثار منها على نحو ما كان يصنع كثير من السلف ، إذ كانوا يقضون ليلهم فى القيام ، ونهارهم فى الصيام دون سأم أو ملل .

رابعًا : الطريق إلى اكتسابها والتحلّى بها :

والطريق إلى اكتساب هذه القوّة والتحلّى بها هو :

١ ـ الإخلاص لله ـ عز وجل ـ قولا وعملا وخاطرا ، بحيث لا يبقى فيك شىء لغير الله ـ عز وجل ـ على حدّ قوله تعالى له : ﴿ **قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣)** ﴾ [الأنعام] ، فإن من أعطى نفسه لله أعانه الله وكان معه ، وما تخلى عنه أبدا .

قال تعالى عن أهل الكهف :

﴿ **وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَٰهًا**

﴿ لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ ﴾ [الكهف] .

٢ ـ التجرد من كل حول وقوة ، إلا من حول الله وقوته ، فإن من جاهد نفسه حتى وصل إلى هذه المرتبة يجد تأييد الله ورعايته فى كل شىء ، ولعل هذا ما يشير إليه قول النبى ﷺ : « أكثروا من : لا حول ولا قوة إلا بالله ، فإنها كنز من كنوز الجنة » (١) .

٣ ـ عدم الشعور بالضعف أو العجز ، فإن من يشعر بالضعف أو العجز يفقد الثقة بنفسه ، وبالتالى يكسل عن تعاطى ما هو نافع ومفيد ، ولعله ما يلمح إليه قول النبى ﷺ فى الحديث : « . . . ولا تعجز » .

٤ ـ الحرص على التحلّى بكل ما هو نافع ومفيد ، وليس هناك أنفع للبشرية كلها من منهج الله عز وجل ، ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [المائدة] . ولقد لفت النبى ﷺ الأنظار إلى ذلك حين قال : « احرص على ما ينفعك » .

٥ ـ المحافظة على الفرائض، والإكثار من النوافل : كقيام الليل ، وصوم التطوع ، وصدقة التطوع ، والذكر ، والدعاء ، والاستغفار ، وقراءة القرآن ، فقد جاء فى

---

(١) الحديث بهذا اللفظ أخرجه الإمام أحمد فى : المسند ٢ / ٣٣٣ من حديث أبى هريرة مرفوعًا ، كما أخرجه بألفاظ مختلفة فى المواضع التالية ٢ / ٢٩٨ ، ٣٠٩ ، ٥٢٠ ، ٥٢٥ ، ٤ / ٤٠٠ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣ ، ٤١٩ ، ٥ / ١٤٥ ، ١٥٠ ، ١٥٢ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٧٩ ، وبمثله وبنحوه أخرج البخارى فى : الصحيح : كتاب الدعوات : باب إذا علا عقبة ، وباب قول : لا حول ولا قوة إلا بالله ٨ / ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٨ ، وكتاب القدر : باب لا حول ولا قوة إلا بالله ٨ / ١٥٥ ، ١٥٦ ، وكتاب التوحيد : باب ﴿ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ ٩ / ١٤٤ .

ومسلم فى : الصحيح : كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار : باب استحباب خفض الصوت بالذكر ٤ / ٢٠٧٦ ـ ٢٠٧٨ رقم (٢٧٠٤) .

وأبو داود فى : السنن : كتاب الصلاة : باب فى الاستغفار ٢ / ٨٧ رقم (١٥٢٦ ـ ١٥٢٨) ، والترمذى فى : السنن : كتاب الدعوات : باب فى فضل لا حول ولا قوةَ إلا بالله ٥ / ٥٠٩ ، ٥١٠ ، ٥٧٠ ، ٥٧١ رقم (٣٤٦١ ، ٣٥٨١) باب ما جاء فى فضل التسبيح والتكبير والتهليل والتحميد ، وابن ماجه فى : السنن : كتاب الأدب : باب ما جاء في لا حول ولا قوةَ إلا بالله ٢ / ١٢٥٦ ، ١٢٥٧ رقم (٣٨٢٤ ـ ٣٨٢٦) ، كلُّهم من حديث أبى موسى الأشعرى وزاد الترمذى رواية أخرى من حديث قيس ابن سعد بن عبادة ، وعقّب عليها بقوله : « هذا حديث صحيح غريب من هذا الوجه » ، وابن ماجه روايتين إحداهما من حديث أبى ذر والأخرى من حديث حازم بن حرملة ، وعقب البوصيرى على الروايتين الأخيرتين لابن ماجه كما فى : [مصباح الزجاجة فى زوائد ابن ماجه ٤/ ١٣٥ ـ ١٣٧] بقوله عن حديث أبى ذر : « هذا إسناد صحيح رجاله ثقات . . . » وبقوله عن حديث حازم بن حرملة : « لم يخرج ابن ماجه لحازم بن حرملة سوى هذا الحديث، وليس له رواية فى شىء من الخمسة الأصول، وإسناد حديثه فيه مقال . . . إلى آن قال : وله شاهد من حديث أبى هريرة . رواه الترمذى وضعّفه » .

الحديث القدسى : « . . . وما تقرَّب إلىّ عبدى بشىء أحب مما افترضته عليه ، وما زال عبدى يتقرَّب إلىّ بالنوافل حتى أحبّه ، فإذا أحببته كنتُ سمعَهُ الذى يسمع به ، وبصرَهُ الذى يُبصر به ، ويده التى يبطشُ بها ، ورجله التى يمشى بها ، ولئن سألنى لأعطينّه ، ولئن استعاذنى لأعيذنّه » (١) .

٦ ـ التقشف فى العيش ، ونبذ حياة الترف ، والدّعة ، والراحة ، فإن ذلك مما يعين النفس على الصبر ، وقوة التحمل ، ومجابهة الخطوب والشدائد .

٧ ـ مطالعة سيرة السلف، والوقوف على مقدار مالاقوا من شدة وأذى واضطهاد ، فإن ذلك يولد فى النفس إكباراً لهؤلاء ، وتوقيرهم ، وبالتالى محاولة الاقتداء والتأسى بهم ، أو على الأقل الاقتراب منهم ، على حدّ قول القائل :

فتشبّهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبُّه بالرجال فلاح

٨ ـ دوام التأمل فى النفس وفى الكون، فإن ذلك مما يعرّف الإنسان بحقيقة نفسه ، فلا يتكبر ولا يصاب بغرور ، بل يسعى جاهداً فى طريق الكمال . ﴿ وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الذاريات] .

٩ ـ مذاكرة العلم وحضور مجالسه ، فإن ذلك مما يعرِّف النفس بعيوبها ، وطريق الخلاص من هذه العيوب ، فضلا عن أنه يكون سببًا فى السكينة والوقار والرحمة ، بل والذكر فى الملأ الأعلى : « وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم ، إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده » (٢) .

---

(١) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب الرقاق : باب التواضع ٨ / ١٣١ من حديث أبى هريرة مرفوعًا ، والإمام أحمد فى : المسند ٦ / ٢٥٦ من حديث عائشة بلفظ مختلف .

(٢) الحديث أخرجه مسلم فى : الصحيح : كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار : باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر ٤ / ٢٠٧٤ رقم (٢٦٩٩) من حديث أبى هريرة ، وفى الباب غيره بلفظ مختلف ، وأبو داود فى: السنن: كتاب الصلاة : أبواب الوتر : باب فى ثواب قراءة القرآن ٢/ ٧١ رقم (١٤٥٥) ، والترمذى فى : السنن : أبواب القراءات [صحيح الترمذى بشرح ابن العربى المالكى ١١/ ٦٤] مطولا، وابن ماجه فى: السنن : المقدمة : باب فضل العلماء والحث على طلب العلم ١/ ٨٢ رقم (٢٢٥) ، وكتاب الأدب : باب فضل الذكر بلفظ : « ما جلس قوم مجلسا يذكرون الله فيه إلا حفتهم الملائكة ، وتغشتهم الرحمة ، وتنزلت عليهم السكينة ، وذكرهم الله فيمن عنده » ٢ / ١٢٤٥ ، وأحمد فى : المسند فى أكثر من موضع ٢ / ٢٥٢، وبلفظ مختلف فى ٢ / ٤٠٧ ، ٤٤٧ ، ٣ / ٣٣، ٤٩ ، ٩٢ ، ٩٤ .

١٠ ـ مصاحبة الصالحين والأخيار من الناس ، فإنهم يذكرونك إذا نسيت ، ويعينونك إذا ذكرت : « من يرد الله به خيرا يهده خليلا صالحا ، إن نسى ذكَّره ، وإن ذكر أعانه » [١] .

١١ ـ الابتعاد عن المعاصى والسيئات : فإنها تضر بالبدن والعقل ، بل وبالدين : « خمس أعيذكم بالله منهن ، وأعوذ بالله أن تدركوهن : ما ظهرت الفاحشة فى قوم فيعلنوا بها إلا ظهرت فيهم الأمراض والأوجاع التى لم تكن فيما مضى من أسلافهم . . . » الحديث [٢] .

١٢ ـ ممارسة بعض الأنشطة الرياضية التى تنمى الجسم وتقويه ، كالرماية ، والسباحة ، والمصارعة والعَدْو ، ونحو ذلك .

ما يستفاد من الحديث دعويا وتربويا :

ويستفاد من الحديث دعويا وتربويا ما يلى :

١ ـ ضرورة تحرك المسلم واهتمامه بقلبه وعقله وبدنه ؛ حتى يصبح قويّا قادرا على تنفيذ المهام والواجبات المنوطة به ، فضلا عن ظفره بحب الله ـ عز وجل ـ ومغفرته ورضوانه .

٢ ـ ضرورة التحرر من العجز والكسل بالاستعانة التامة بالله ـ عز وجل ـ وكذلك بالحرص على كل ما فيه خير وصلاح .

٣ ـ ضرورة سدّ الطريق على الشيطان المثبّط للعزائم ، بألا يسمع المسلم لوسوسته ولو بكلمة « لو » ندما على ما لا فائدة فيه من نزول كارثة أو وقوع محنة ، بل عليه أن يقول : « قدّر الله وما شاء فعل » . بيد أنه يستثنى من هذه الحالة : من قال ذلك

---

(١) الحديث أخرجه أبو داود فى : السنن : كتاب الخراج والإمارة والفىء : باب فى اتخاذ الوزير ٣ / ٣٣ ، ٤٩ ، ٩٢ ، ٩٤ .

(٢) الحديث أخرجه ابن ماجه فى : السنن : كتاب الفتن : باب العقوبات ٢ / ١٣٣٢ ، ١٣٣٣ رقم (٤٠١٩) من حديث عبد الله بن عمر قال : أقبل علينا رسول اللهﷺ فقال : « يا معشر المهاجرين ، خمس إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن : لم تظهر الفاحشة فى قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التى لم تكن مضت فى أسلافهم الذين مضوا . ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان عليهم . ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا . ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدوا من غيرهم ، فأخذوا بعض ما فى أيديهم . وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا مما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم » .

تأسفا على طاعة، أو لأن الأمر متعذر عليه، وفيه خير كثير لو تحقق، ومن ذلك قوله ﷺ : « لو استقبلت من أمرى ما استدبرت، لما سُقتُ الهدىَ، ولجعلتها عمرة »[١] .

٤ ـ ضرورة الرحمة والإشفاق على المسلم الملتزم بالإسلام فى نفسه ، المقصر فى واجب الدعوة والجهاد، إذ هو مع تقصيره هذا خير من ملء الأرض ممن يحاربون الله ورسوله، ويتظاهرون بالإسلام ، ويبطنون الحقد والكفر والضلال، وقد لفت النبى ﷺ الأنظار إلى هذه الفائدة حين قال فى حديث الباب : « . . . وفى كل خير . . . » .

---

(١) جزء من حديث أخرجه بطوله مسلم فى الصحيح: كتاب الحج: باب حجة النبى ﷺ ٢/ ٨٨٦ ـ ٨٩٢ رقم (١٢١٨) ، وأبو داود فى : السنن : كتاب المناسك ـ الحج : باب صفة حجة النبى ﷺ ٢/ ١٨٢ ـ ١٨٦ رقم (١٩٠٥) ، وابن ماجه فى : السنن : كتاب المناسك : باب حجة الرسول ﷺ ٢/ ١٠٢٢ ـ ١٠٢٧ رقم (٣٠٧٤) ، والنسائى فى: السنن: كتاب الحج : باب الكراهية فى الثياب المصبغة للمحرم ٥/ ١٤٣، والدارمى فى : المناسك : باب فى سنة الحاج ٢/ ٤٥ ـ ٤٩ ، وأحمد فى : المسند ٣ / ٣٢٠ وذكره مختصراً فى ٣ / ١٤٨ ، ٢٦٦ .

الحديث الثانى

قال رسول الله ﷺ:

« لأعلمنّ أقواما من أمتى يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تهامة بيضًا ، فيجعلُها الله ـ عز وجل ـ هباءً منثورا ... أما إنهم إخوانكم ، ومن جلدَتكم ، ويأخذُون من اللَّيل كما تأخُذون ، ولكنَّهم أقوام إذا خَلَوْا بمحارم الله انتهكُوها » .

تخريجه :

الحديث أخرجه ابن ماجه فى: السنن: كتاب الزهد: باب ذكر الذنوب ٢/ ١٤١٨ رقم (٤٢٤٥) ، وورد فى : الفتح الكبير فى ضم الزيادة إلى الجامع الصغير ٣/ ٢ .

وأورده الألبانى فى : صحيح الجامع الصغير ٥ / ٣ رقم (٣٩٠٤) كلهم من حديث ثوبان رضي الله عنه .

معناه :

يحرص الإسلام على أن تظل ملكة المراقبة لله ـ عز وجل ـ قوية مكينة فى النفس ، تحرس المسلم وترعاه إذا خلا بنفسه ، فلا ينتهك حرمات الله ، ولا يهمل ولا يقصر، وحتى لو أخطأ ، وزلت به قدمه، فإنه سرعان ما يتذكر اطلاع الله ـ عز وجل ـ عليه ، وعلمه بما وقع منه ، فيقلع عن هذا الخطأ ، ويعزم عزمًا أكيدًا على ألا يعود إليه أبدا . والحديث الذى نحن بصدده الآن دعوة صريحة إلى دوام مراقبة الله ـ عز وجل ـ والحياء منه فى السر والعلن ، فى الخلوة والجلوة ، ولكى تستقر هذه الحقيقة فى ضمير المسلم ، ولا تغيب عنه أبدا ، سلك النبى ﷺ مسلك القصة والحكاية ، فأخبرنا أنه علم بواسطة الوحى أن هناك جماعة من أمته يجيؤون يوم القيامة بحسنات كثيرة جدّا ، تشبه فى كثرتها ذرات الرمال ، وحبات الحصى التى يتكون منها جبل تهامة ، بيد أن الله ـ عز وجل ـ لا يعبأ بها ولا يقيم لها وزنا ، والسر فى ذلك : أن هذه الجماعة كانت إذا خلت بمحارم الله انتهكتها ، ولم تحافظ عليها . وقصد النبى ﷺ من وراء هذه القصة أو هذه الحكاية أن نعتبر ، وأن نتدارك الأمر قبل فواته ، فلا نقع فيما وقع فيه هؤلاء : ﴿ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ ﴿٢﴾ ﴾ [الحشر] .

ولما كانت مراقبة الله ـ عز وجل ـ هى الأساس فى الْتزام المسلم بإسلامه ، وعدم انتهاكه لحرمات الله ؛ لزم أن نتكلم عن :

* الوسائل التى تعين على تنشئتها فى النفس .

* الوسائل التى تنميها وتزكيها فى النفس .

وذلك على النحو التالى :

أولا : الوسائل التى تعين على تنشئة ملكة المراقبة فى النفس :

يعين على تنشئة ملكة المراقبة فى النفس :

١ ـ اليقين الكامل بأن الله ـ عز وجل ـ عالم بكل ما يقع منه ومن غيره ، سرا كان ذلك أو علانية ﴿ **وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ** (٣) ﴾ [الأنعام] . فإن المرء إذا استقرت هذه الحقيقة فى نفسه ، فإنه يستحى أن يراه الله حيث نهاه ، أو يفقده حيث أمره .

وقد أكد الحق ـ تبارك وتعالى ـ على هذه الوسيلة حين قال : ﴿ **وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوه** ﴾ [البقرة : ٢٣٥] .

٢ ـ واليقين الكامل بأن الله ـ عز وجل ـ يحصى عليه كل ما يقع منه وسينبؤه به كله يوم القيامة ، بل وسيجازيه عليه بالسوء سوءا ، وبالإحسان إحسانا ، فإن المرء إذا أيقن بهذه الحقيقة ، فإنه يتدارك أمره قبل الموت ، وقبل فوات الأوان ، ويقلع عن غيه وضلاله ، ويلزم طريق الجادة : ﴿ **وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيه وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا** (٤٩) ﴾ [الكهف] .

ثانيا : الوسائل التى تنمى ملكة المراقبة وتزكيها فى النفس :

أما الوسائل التى تنمى ملكة المراقبة وتزكيها فى النفس فهى :

١ ـ المواظبة على الطاعات من: صلاة مفروضة، ومن قيام ليل، ومن زكاة واجبة، ومن صدقة تطوع، ومن صيام، ومن حج، ومن قراءة قرآن ، ومن ذكر، ومن دعاء ، ومن استغفار ، ومن تأمل فى النفس وفى الكون ، ومن محاسبة للنفس، ومن عتاب وتأنيب وتوبيخ لها ، بل ومعاقبة عند التقصير والتعدى على حدود الله . . . إلخ .

٢ ـ لزوم الجماعة، والعيش معها، وعدم التخلى عنها، فإن ذلك يقطع الطريق على الشيطان، إذ ينتهز الشيطان فرصة تفرد الإنسان وخلوته بنفسه، ويبدأ فى الوسوسة والإغراء، وتزيين المعاصى والسيئات ، حتى يقع فى الهاوية والعياذ بالله، ولعل هذا هو السر فى أنه ﷺ دعا إلى لزوم الجماعة، وأكّد على ذلك حين قال :

« إياكم والفرقة ، وعليكم بالجماعة ، فإن الشيطان مع الواحد ، وهو من الاثنين أبعد » [١] .

ما يستفاد من الحديث دعويا وتربويا :

ويستفاد من هذا الحديث دعويا وتربويا :

١ ـ لزوم مراقبة الله ـ عز وجل ـ فى كل الظروف وفى كل الأحاديث ، فإنها ـ إن شاء الله ـ هى الواقى من الزلل ، ومن انتهاك حرمات الله ، بل هى المعين على الالتزام الدقيق بمنهج الله ، وقد ورد عن السلف أنهم كانوا يحرصون على تنشئة ملكة المراقبة فى نفوس أولادهم منذ نعومة أظفارهم .

جاء عن أبى القاسم الجنيد: «أنه أراد أن يختبر تلاميذه فى مراقبة الله ـ عز وجل ـ فقال لهم : غدا سنقوم برحلة خلوية إلى الصحراء ، وعلى كل منكم أن يأخذ من أبويه فرخا، وأن يذبحه فى مكان لا يراه فيه أحد ، وأن يأتى به لنقوم بإعداده وإنضاجه ، ثم نأكل سويا ، فغابوا وجاءوا فى اليوم التالى، وكلّ قد ذبح فرخة إلا تلميذا واحدًا جاء بفرخه حيًا دون أن يذبحه، فسأله الشيخ : لماذا لم تنفذ وصيتى ؟ فأجابه : لقد شرطت علينا أن نذبح الفرخ فى مكان لا يرانا فيه أحد ، وعندما حاولت التنفيذ وجدت هذا الأحد معى ، كنت إذا دخلت البيت وجدت هذا الأحد معى ، وإذا صعدت فوق السطح وجدت هذا الأحد معى ، وإذا ذهبت فى الفلاة وجدت هذا الأحد معى ، فسأله شيخه : من هذا الأحد ؟ فأجاب : الله . فعانقه المربّى وقال له : أنت ابنى حقا » [٢] . وهكذا يجب أن نربى أنفسنا وأولادنا ، وأهلينا، وسائر المسلمين .

---

(١) جزء من حديث أخرجه الترمذى فى : كتاب الفتن : باب ما جاء فى لزوم الجماعة ، بتقديم : « عليكم بالجماعة » على : « وإياكم والفرقة » . [صحيح الترمذى بشرح ابن العربى المالكى ٩ / ٩] ، والإمام أحمد فى : المسند ٥ / ٧٠ ، ٧١ مختصرًا . ورواه فى موضع آخر بلفظ : « . . . فمن أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة ، فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد . . . » ١ / ١٨ ، ٢٦ .

(٢) القصة أوردها الإمام أبو حامد الغزالى فى كتابه : إحياء علوم الدين ٤ / ٣٨٤ بتصرف .

٢ ـ دور القصة فى تثبيت المعانى فى النفس ، وتمكينها منها فلا تنسى ؛ إذ النفس بطبيعتها وفطرتها ميالة إلى الحكاية محبة لها ، ولعل هذا هو السر فى ورود القصة فى القرآن الكريم ، وفى السنة النبوية ، وقد لفت الله ـ عز وجل ـ الأنظار إلى فوائدها حين قال : ﴿ وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾ [هود : ١٢٠] ، ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُوْلِي الأَلْبَاب ﴾ [يوسف : ١١١] .

٣ ـ ضرورة لزوم الجماعة والتخلق بأخلاقها ، فإنها توظف الجهد البشرى كله ، وبالتالى لا يبقى لدى المسلم لحظة فراغ يخلو فيها بنفسه ، فيضحك عليه الشيطان ، أو يفسد عليه حياته . وقد أكّد السلف على لزوم الجماعة حتى عدّوا الإسلام بدونها ناقصا، جاء عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه قال : « لا إسلام إلا بجماعة، ولا جماعة إلا بإمارة، ولا إمارة إلا بطاعة ، ولا طاعة إلا ببيعة » [١] .

٤ ـ وجوب المحافظة على الحسنات التى يقترفها المسلم ، وعدم إضاعتها بارتكاب المعاصى والسيئات ، وإلا كان كالسفيه يكون المال موفوراً بين يديه ، ثم يضيعه فى المضار والمنكرات . ويعينه على ذلك أن يضع فى حسابه ، أنه إن استمر على طاعة الله زاده الله هدى وتقى : ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ (١٧) ﴾ [محمد] ، ﴿ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ (٢٣) ﴾ [الشورى] .

---

[١] الأثر أخرجه الدارمى فى : السنن : المقدمة : باب العمل بالعلم وحسن النية فيه ١ / ٧٩ من حديث عمر موقوفًا إلا الجملة الأخيرة : « ولا طاعة إلا ببيعة » .

الحديث الثالث

قال رسول الله ﷺ :

« مالى وللدُّنيا ، وما للدُّنيا ومالى ! والذى نَفْسى بيَده ، ما مَثَلى ومثلُ الدُّنيا ، إلا كراكب سار فى يوم صائف ، فاستَظَلَّ تحت شجَرة ساعةً من نهار ، ثُمَّ راح وتركها » .

تخريجه :

الحديث أخرجه الإمام أحمد فى : المسند ١ / ٣٠١ من حديث ابن عباس ؛ أن رسول الله ﷺ دخل عليه عمر وهو على حصير قد أثر فى جنبه فقال : يا نبى الله ، لو اتخذت فراشًا أوثر من هذا، فقال: « مالى وللدنيا، ما مثلى ومثل الدنيا إلا كراكب سار فى يوم صائف، فاستظل تحت شجرة ساعة من نهار ، ثم راح وتركها » .

وأخرجه الترمذى فى: السنن: أبواب الزهد من حديث عبد الله بن مسعود بلفظ : نام رسول الله ﷺ على حصير فقام وقد أثر فى جنبه، فقلنا: يا رسول الله، لو اتخذنا لك وطاءً ؟ فقال : « مالى وللدنيا ، ما أنا فى الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها » . [صحيح الترمذى بشرح الإمام ابن العربى المالكى ٩ / ٢٢٣] .

وأخرجه ابن ماجه فى : السنن : كتاب الزهد : باب مثل الدنيا ٢ / ١٣٧٦ رقم (٤١٠٩) بلفظ مختلف .

وأورده الإمام النووى فى : رياض الصالحين ص ١٨٦ باب : فضل الزهد فى الدنيا والحث على التقلل منها وفضل الفقر ، من حديث عبد الله بن مسعود. ثم عقب عليه بقوله : « رواه الترمذى ، وقال : حديث حسن صحيح » ، وأورده الألبانى فى صحيح الجامع الصغير ٥ / ١٥٤ رقم (٥٥٤٥) من حديث عبد الله بن عباس به .

معناه :

خلق الله ـ عز وجل ـ الإنسان ، وجعله خليفة فى هذا الكون يعمّره وينتفع بكل ما فيه وفق منهج رسمه له ، وأرسل من أجل هذا المنهج النبيين مبشرين ومنذرين ،

وسخّر له كل ما يعينه على أداء دوره وواجبه من شمس وقمر ، ونجوم ، وجبال ، وشجر ، ودواب ، وأرض وسماء ، وماء وهواء . . . إلخ ، وحدّد له أجلا معيّنا يحقق فيه ما طلب منه ، ثم جعل له دارًا أخرى غير هذه الدار يلقى فيها جزاء عمله من ثواب وعقاب ، وجنة ونار ، وما على العاقل ـ بعد ما تقدم ـ إلا أن يلقى الدنيا عن كاهله، وأن يطرحها وراءه ظهريا، واضعا نصب عينيه الآخرة التى هى دار القرار ، وما قرّب إليها من قول وعمل ،وإذا كان له أن يأخذ حظه من الدنيا فليكن ذلك بقدر ، ووفقا للمنهج الذى ارتضاه الله ـ عز وجل ـ لنا دينا ، ولئلا يطمئن الناس إلى الدنيا ، ويركنوا إليها ، تاركين العمل للآخرة .

بين النبىﷺ عُمْرَ الدنيا فى جنب الآخرة،وأنه لا يعدو أن يكون ساعة من نهار ، وحتى تستقر هذه الحقيقة فى النفوس،ساق النبىﷺ حديثه هنا على طريق المثل فقال : ليس لى تعلق بالدنيا ، وليس للدنيا تعلق بى ، وكيف أتعلق بالدنيا وتتعلق الدنيا بى ؟ وما مثلى ومثلها إلا كمسافر ركب مطيته وسار فى يوم هجير شديد قيظه ، فلما اشتد به التعب نزل ،فقال تحت شجرة فترة وجيزة لا تتجاوز الساعة ريثما ابتلع أنفاسه ، وعاد إليه نشاطه،ثم راح وترك الشجرة مستأنفا السير من جديد ليصل إلى نهاية رحلته .

وهكذا ثبّت النبىﷺ هذه الحقيقة فى النفس ، فلم تعد تنسى بواسطة المثل ، وصدق الله الذى يقول : ﴿ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (٢١) ﴾ [الحشر]، ﴿ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٥) ﴾ [إبراهيم] .

ولما كان هذا الحديث يوهم بظاهره وجوب ترك الدنيا ، والإعراض عنها بالكلية ؛ لزم أن نتحدث عن :

* موقف المسلم من الدنيا .

* بعض النصوص الأخرى الواردة فى التحذير من الدنيا .

وذلك على النحو التالى :

أولا : موقف المسلم من الدنيا :

ويتلخص موقف المسلم من الدنيا فى : أنه لا بأس ولا حرج عليه أن يصيب من الدنيا ما شاء بشرطين :

الأول : أن تكون من طريق مشروع يقره الإسلام ويرضى عنه .

الثانى : أن تكون هذه الدنيا فى يد المسلم لا فى قلبه ، بحيث إذا طلبت منه فى أى وقت تنازل عنها ابتغاء رضوان الله دون أن يتعلق قلبه بها .

وعلى ذلك يمكن أن تتنزل النصوص الواردة فى مدح الدنيا ووجوب النيل منها ، قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (٨٧) وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالاً طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ (٨٨) ﴾ [المائدة]، ﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالاً طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (١١٤)﴾ [النحل]

« نعم المال الصالح فى يد العبد الصالح » (١) .

« الدنيا متاع ، وخير متاعها المرأة الصالحة . . . » الحديث (٢) .

« الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه ، أو عالما أو متعلما » (٣) .

وكان كثير من السلف أثرياء ، بيد أن الدنيا كانت بأيديهم لا فى قلوبهم ، فلما دعوا إلى التضحية والجهاد ، تنازلوا عنها وما ضنّوا بها .

لقد تنازل أبو بكر مرّة عن كُلِّ ماله ، ولما سئل : ماذا أبقيت لأهلك ؟ أجاب : أبقيت لهم الله ورسوله (٤) . وجهّز عثمان ﷺ لجيش كله فى إحدى الغزوات من ماله

---

(١) الحديث أخرجه الإمام أحمد فى : المسند ٤ / ١٩٧ ، ٢٠٢ من حديث عمرو بن العاص قال : بعث إلىّ رسول الله ﷺ فقال : « خذ عليك ثيابك وسلاحك ثم ائتنى » ، فأتيته وهو يتوضأ . فَصَعَّد فىّ النظر ثم طأطأه فقال : « إنى أريد أن أبعثك على جيش فيسلمك الله ويغنمك ،وأرغب لك من المال رغبة صالحة » . قال : قلت : يا رسول الله ، ما أسلمت من أجل المال ، ولكنى أسلمت رغبة فى الإسلام وأن أكون مع رسول الله ﷺ ، فقال : « يا عمرو ، نعم المال الصالح للمرء الصالح » .

(٢) الحديث أخرجه مسلم فى : الصحيح : كتاب الرضاع : باب خير متاع الدنيا المرأة الصالحة ٢ / ١٠٩٠ رقم (١٤٦٧) من حديث عبد الله بن عمرو ، وابن ماجه فى : السنن : كتاب النكاح : باب أفضل النساء ١ / ٥٩٦ رقم (١٨٥٥) بلفظ مختلف ، والإمام أحمد فى : المسند ٢ / ١٦٨ ، وورد فى الفتح الكبير ٢ / ١١٦ .

(٣) الحديث أخرجه الترمذى فى :السنن : كتاب الزهد [صحيح الترمذى بشرح ابن العربى المالكى ٩ / ١٩٨] من حديث أبى هريرة ، وابن ماجه فى: السنن : كتاب الزهد : باب مثل الدنيا ٢ / ١٣٧٧ رقم (٤١١٢) واللفظ له ، وورد فى الفتح الكبير ٢ / ١١٦ .

(٤) الحديث أخرجه أبو داود فى : السنن : كتاب الزكاة: باب فى الرخصة فى ذلك ٢/ ١٢٩ رقم (١٦٧٨) من حديث عمر بن الخطاب ﷺ قال : أمرنا رسول الله ﷺ يوما أن نتصدق فوافق ذلك مالا عندى ، فقلت : اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوما . فجئت بنصف مالى ، فقال رسول الله ﷺ : « ما أبقيت لأهلك ؟ » قلت: مثله ، قال : وأتى أبو بكر ﷺ بكل ما عنده ، فقال له رسول الله ﷺ : « ما أبقيت =

الخاص ، حتى قال عنه النبي ﷺ : « ما ضرّ عثمان ما فعل بعد اليوم » (١) .

وتنازل عمر بن الخطاب يوما عن نصف ماله فى سبيل الله (٢) ، وتنازل صهيب الرومى عند الهجرة عن كل ماله ؛ لئلا يحول ذلك بينه وبين الهجرة ، حتى أن النبى ﷺ قال له : « ربح البيع صهيب ، ربح البيع صهيب » (٣) .

ثانيًا : بعض النصوص الأخرى الواردة فى التحذير من الدنيا :

هذا وقد وردت نصوص أخرى غير حديث الباب تزهّد فى الدنيا وتحذّر منها ومن الركون إليها ، والاطمئنان بها ، مثل قوله تعالى : ﴿ **إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢٤)** ﴾ [يونس] ، ﴿ **وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا (٤٥)** ﴾ [الكهف] ، ﴿ **اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ (٢٠)** ﴾ [الحديد] ، ﴿ **زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (١٤)** ﴾ [آل عمران] ، ﴿ **إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ (٣٣)** ﴾ [لقمان] .

ويقول النبى ﷺ : « ما الدنيا فى الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه فى اليم فلينظر بم يرجع » (٤) .

= لأهلك ؟ » قال : أبقيت لهم الله ورسوله ، قلت : لا أسابقك إلى شىء أبدا ، وأخرجه الترمذى فى : السنن : كتاب المناقب : باب فى مناقب أبى بكر وعمر رضي الله عنهما . [صحيح الترمذى بشرح ابن العربى المالكى ١٣/ ١٣٩]، والدارمى فى: السنن: كتاب الزكاة: باب الرجل يتصدق بجميع ما عنده ١/ ٣٩١، ٣٩٢.

(١) الحديث أخرجه الإمام أحمد فى: المسند [الفتح الربانى للساعاتى ٢١/ ١٩٣] من حديث عبد الرحمن ابن خبّاب السّلمى ، وعبد الرحمن بن سمرة مرفوعًا به ، وبنحوه .

(٢) رواية أبى داود والترمذى والدارمى السابقة .

(٣) انظر : السيرة النبوية لابن كثير ٢ / ٢٢٣ ، ٢٢٤ نقلا عن ابن هشام .

(٤) الحديث أخرجه مسلم فى : الصحيح : كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها : باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة ٤/ ٢١٩٣ رقم (٢٨٥٨) ، وأخرجه الترمذى فى : السنن : كتاب الزهد [صحيح الترمذى =

« كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل »[١] .

«لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة، ما سقى كافرا منها شربة ماء »[٢] .

إلى غير ذلك من النصوص ، فيمكن حملها على حبّ الدنيا والتعلق بها وتمكنها من القلب مع نسيان لقاء الله والدار الآخرة ، فقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ (٧) أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٨) ﴾ [يونس]، ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا (١٨) ﴾ [الإسراء] .

ما يستفاد من الحديث دعويا وتربويا :

ويستفاد من هذا الحديث دعويا وتربويا ما يلى :

١ ـ التحذير من الركون إلى الدنيا ، والاطمئنان بها مع الغفلة عن لقاء الله والدار الآخرة؛ لأن الدنيا ليست بدار قرار، ومن هنا جاء على لسان مؤمن آل فرعون: ﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ (٣٩) ﴾ [غافر] ، وقال الله لنبيه محمد ﷺ: ﴿ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى ﴾ [النساء: ٧٧] ، ﴿ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ (٣٨) ﴾ [التوبة] .

= بشرح الإمام ابن العربى المالكى ٩ / ١٩٩] ، وابن ماجه فى : السنن : كتاب الزهد : باب مثل الدنيا ٢ / ١٣٧٦ رقم (٤١٠٨) بلفظ متقارب ، والإمام أحمد فى : المسند ٤ / ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، وورد فى الفتح الكبير ٣ / ٣٠٠ ، وفى رياض الصالحين : باب فضل الزهد فى الدنيا ص ٢١٤ .

(١) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب الرقاق : باب قول النبى ﷺ: « كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل » ٨ / ١١٠ من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، والترمذى فى: السنن: كتاب الزهد: باب ما جاء فى قصر الأمل [صحيح الترمذى بشرح ابن العربى المالكى ٩ / ٢٠٣] ، وابن ماجه فى: السنن: كتاب الزهد: باب مثل الدنيا ٢ / ١٣٧٨ رقم (٤١١٤) وزاد : « وعد نفسك من أهل القبور»، والإمام أحمد فى : المسند ٢ / ٢٤ ، ٤١ ، ١٣٢ بألفاظ متقاربة ، وورد فى : الفتح الكبير ٢ / ٣٣٣، وفى رياض الصالحين : باب فضل الزهد فى الدنيا ص ٢١٦ ، وأورده السخاوى فى : المقاصد الحسنة ص ٣٢٩ رقم (٨٤٧) .

(٢) الحديث أخرجه الترمذى فى : السنن : كتاب الزهد: باب ما جاء فى هوان الدنيا على الله ـ عز وجل ـ [صحيح الترمذى بشرح الإمام ابن العربى المالكى ٩ / ١٩٨] من حديث سهل بن سعد ، وابن ماجه فى : السنن : كتاب الزهد : باب مثل الدنيا ٢ / ١٣٧٧ رقم (٤١١٠) بلفظ مختلف ، وورد فى : الفتح الكبير ٣ / ٤٧ ، وفى كشف الخفاء ومزيل الإلباس ٢ / ٢٠٧ ، وفى رياض الصالحين : باب فضل الزهد فى الدنيا ص ٢١٨ .

٢ ـ الصبر على متاعب الحياة وآلامها ، حتى نلقى الله ، وقد ألمح النبي ﷺ إلى هذه الفائدة التربوية والدعوية حين شبّه نفسه بمسافر ركب مطيته فى يوم هجير شديد الحر، فلما اشتد به التعب نزل فاستراح ساعة ثم استأنف المسير، متحملا مشاق الرحلة ليعود إلى بيته وداره. وكذلك المسلم فى الدنيا يلاقى كثيرًا من المشاق والمتاعب ، بل كثيرا ما يتعرض للمحَن والبلايا ، وواجبه أن يصبر ، وأن يستعين بالله ، وكلما اشتد به التعب استراح قليلا ثم استأنف الطريق حتى يلقى ربه مؤمنا صابرا محتسبًا .

٣ ـ التركيز على الأمثال فى الدعوة والتربية، فإنها تدفع عن الإنسان السأم والملل، وأيضًا تبرز له المعنى المعقول فى صورة المحسوس المرئى ، فيتمكن من النفس ولا ينسى أبدًا .

﴿ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ (٤٣) ﴾ [العنكبوت] .

الحديث الرابع

قال رسول الله ﷺ :

« ما من رَجُلٍ يعودُ مريضًا مُمْسيًا ، إلا خرج معهُ سَبعُونَ ألفَ ملك يستغفرُونَ له حتّى يُصبح ، ومَن أتاهُ مُصْبحاً خرج معه سبعون ألفَ ملكٍ يستغفرُون له حتّى يُمسى » .

تخريجه :

الحديث ورد بهذا اللفظ فى : الفتح الكبير ٣ / ١١٠ .

وأخرجه أبو داود فى : السنن : كتاب الجنائز : باب فى فضل العيادة على وضوء ٣/ ١٨٥ رقم (٣٠٩٨) بلفظ : « . . . سبعون ألف ملك يستغفرون له حتى يصبح ، وكان له خريف فى الجنة . . . يستغفرون له حتى يمسى وكان له خريف فى الجنة » .

وأخرجه الترمذى فى : السنن : كتاب الجنائز : باب ما جاء فى عيادة المريض [صحيح الترمذى بشرح الإمام ابن العربى المالكى ٤ / ١٩٣] بلفظ : « ما من مسلم يعود مسلما غدوة إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسى ، وإن عاده عشية إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح ، وكان له خريف فى الجنة » . وقال : حديث حسن غريب .

وأخرجه ابن ماجه فى : السنن : كتاب الجنائز : باب ما جاء فى ثواب من عاد مريضا ١ / ٤٦٣ ، ٤٦٤ رقم (١٤٤٢) بلفظ مختلف .

وأحمد فى : المسند ١ / ١١٨ ، ١٢١ بمعناه .

وأورده الإمام النووى فى : رياض الصالحين : كتاب عيادة المريض وتشييع الميت ص ٢٩٧ . وعقب عليه بقوله : رواه الترمذى .

وأورده الألبانى فى : صحيح الجامع الصغير ٥ / ١٦٦ رقم (٥٥٩٣) من حديث على بن أبى طالب رضي الله عنه به .

معناه :

لما كان من رسالة المسلم نصح الناس ، وتوجيههم ، وإرشادهم ، والأخذ بأيديهم إلى صراط العزيز الحميد ؛ لزمه أن يبحث عن الوسائل والأساليب التى تكسبه ودّ الناس وتؤثر فيهم ، وتستميل قلوبهم نحوه ، وليس هناك أكثر تأثيرا فى الناس ، واستمالة لقلوبهم من رعاية الآداب الاجتماعية : كعيادة المريض ، وتشميت العاطس ، وبذل النصيحة ، وإجابة الدعوة ، وطلاقة الوجه ، وتفقد الغائب ، والسؤال عنه ، ومعاونة المحتاج ، وتفريج كربته . . . وهلمّ جرّا .

والحديث الذى نحن بصدده الآن يرشدنا إلى ضرورة عيادة المريض والسؤال عنه ، ببيان الأجر والثواب الذى يناله العائد من حين يخرج حتى يرجع : أنه إن عاده فى المساء شيّعه سبعون ألف ملك بالدعاء والاستغفار حتى يصبح ، وإن عاده فى الصباح شيّعه سبعون ألف ملك بالدعاء والاستغفار كذلك حتى يُمسى .

وإليك الآن : طائفة من الأحاديث فى فضل عيادة المريض :

يقول رسول الله ﷺ : « إن الله ـ عز وجل ـ يقول يوم القيامة : يا بن آدم ، مرضت فلم تعدنى، قال : يا رب، كيف أعودك وأنت رب العالمين ؟ قال : أما علمت أن عبدى فلانا مرض فلم تعده ؟ أما علمت أنك لو عدته لوجدتنى عنده ؟ يا بن آدم ، استطعمتك فلم تطعمنى ، قال : يارب ، كيف أطعمك وأنت رب العالمين ؟ قال : أما علمت أنه استطعمك عبدى فلان فلم تطعمه ، أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندى ؟ يا بن آدم ، استسقيتك فلم تسقنى ، قال : يارب ، كيف أسقيك وأنت رب العالمين ؟ قال : استسقاك عبدى فلان فلم تسقه ، أما علمت أنك لو سقيته لوجدت ذلك عندى ؟ » (١) .

---

(١) أخرجه مسلم فى : الصحيح : كتاب البر والصلة والآداب : باب فضل عيادة المريض ٤ / ١٩٩٠ رقم (٢٥٦٩) من حديث أبى هريرة ، والإمام احمد فى : المسند ٢ / ٤٠٤ من حديث أبى هريرة أيضًا عن النبى ﷺ عن الله ـ عز وجل ـ أنه قال : « مرضت فلم يعدنى ابن آدم ، وظمئت فلم يسقنى ابن آدم ، فقلت : أتمرض يارب ؟ قال : يمرض العبد من عبادى ممن فى الأرض فلا يعاد ، فلو عاده كان ما يعوده لى ، ويظمأ فى الأرض فلو سقى كان سقاء لى » .

ويقول ﷺ: « عودوا المريض ، وأطعموا الجائع ، وفكّوا العانى » (١) .

«إن المسلم إذا عاد أخاه المسلم لم يزل فى خُرْفَة الجنة حتى يرجع»، قيل: يا رسول الله ، وما خُرْفة الجنة ؟ قال : « جناها » (٢) . إلى غير ذلك من الأحاديث .

ما يستفاد من الحديث دعويا وتربويا :

ويستفاد من الحديث دعويا وتربويا ما يلى :

١ ـ ضرورة الحرص على عيادة المريض كلون من ألوان رعاية الآداب الاجتماعية ويساعد على القيام بها .

٢ ـ أن يتذكر المسلم مقدار الأجر الذى يكتب له من حين يخرج حتى يعود .

٣ ـ وأن يتذكر أنه حين يعود المريض ، فهو فى رحمة من الله ورضوانه من حين يخرج حتى يرجع .

٤ ـ وأن يضع فى حسابه أنه لن ينجح فى كسب ثقة الناس وفى التأثير فيهم بغير هذه الطريقة ونحوها .

٥ ـ وأخيرا ، أن يتذكر أن هذا حق المسلم عليه إذ جاء فى الحديث :

---

(١) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب الجهاد : باب فكاك الأسير ٤ / ٨٣ من حديث أبى موسى بلفظ : « فكوا العانى ـ يعنى الأسير ـ وأطعموا الجائع ،وعودوا المريض » ، وفى النكاح: باب حق إجابة الوليمة والدعوة بلفظ : « فكوا العانى ، وأجيبوا الداعى ، وعودوا المريض » ٧ / ٣١ ، وفى الأطعمة بلفظ : « أطعموا الجائع ، وعودوا المريض ، وفكوا العانى » ٧ / ٨٧ ، وفى الطب : باب وجوب عيادة المريض ٧ / ١٥٠ ، وفى الأحكام : باب إجابة الحاكم الدعوة بلفظ: « فكوا العانى ، وأجيبوا الداعى » ٩ / ٨٨ ، وأبو داود فى : السنن : كتاب الجنائز : باب الدعاء للمريض بالشفاء عند العيادة ٣ / ١٨٧ رقم (٣١٠٥) ، والدارمى فى : السنن : كتاب السير : باب فى فكاك الأسير بلفظ : « فكوا العانى وأطعموا الجائع » ٢ / ٢٢٣ . والإمام أحمد فى : المسند ٤ / ٣٩٤ ، ٤٠٦ .

(٢) أخرجه مسلم فى: الصحيح : كتاب البر والصلة والآداب : باب فضل عيادة المريض ٤/ ١٩٨٩ رقم (٢٥٦٨ وما بعده) من حديث ثوبان مولى رسول الله ﷺ بلفظ: « إن المسلم إذا عاد أخاه المسلم، لم يزل فى خرفة الجنة حتى يرجع » . وفى رواية : « من عاد مريضًا لم يزل فى خرفة الجنة » ، قيل : يا رسول الله ، وما خُرفة الجنة ؟ قال : « جناها » ، وأخرجه الترمذى فى : السنن : كتاب الجنائز : باب ما جاء فى عيادة المريض [صحيح الترمذى بشرح الإمام ابن العربى المالكى ٤ / ١٩١ ـ ١٩٣] ، والإمام أحمد فى : المسند ٥ / ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٨١ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ بألفاظ مختلفة .

« حق المسلم على المسلم خمس : ردّ السلام ، وعيادة المريض ، واتباع الجنائز ، وإجابة الدعوة ، وتشميت العاطس »[١] .

(١) أخرجه البخارى فى : الصحيح :كتاب الجنائز: باب الأمر باتباع الجنائز ٢ / ٩٠ من حديث أبى هريرة به ، وأخرجه مسلم فى : الصحيح : كتاب السلام : باب من حق المسلم للمسلم رد السلام ٤ / ١٧٠٤ رقم (٢١٦٢ وما بعده) ، وأبو داود فى : السنن : كتاب الأدب:باب فى العطاس ٤ / ٣٠٦ رقم (٥٠٣٠)، والنسائى فى: السنن : كتاب الجنائز : باب النهى عن سب الأموات ٤/ ٥٣ بلفظ: « للمؤمن على المؤمن ست خصال ... » ، وابن ماجه فى : السنن : كتاب الجنائز : باب ما جاء فى عيادة المريض ١/ ٤٦١، والإمام أحمد فى : المسند ٢/ ٣٣٢ ، ٣٧٢ ، ٤١٢ ، ٥٤٠ بألفاظ مختلفة .

الحديث الخامس

قال رسول الله ﷺ :

« لا تدخُلُوا الجنَّةَ حتى تؤمنوا ، ولا تُؤمنُوا حتى تحابّوا ، أوَ لاَ أدلُّكم على شيءٍ لو فعلتموه تحاببْتُم ؟ أفشوا السَّلامَ بينَكُم » .

تخريجه :

أخرجه مسلم فى : الصحيح : كتاب الإيمان : باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون . . . إلخ ١ / ٧٤ رقم (٥٤) .

وأخرجه البخارى فى : الأدب المفرد : باب إفشاء السلام ص ٤٣٣ رقم (٩٨٠) من حديث أبى هريرة به ، وأبو داود فى : السنن : كتاب الأدب : باب إفشاء السلام ٤/ ٣٥٠ رقم (٥١٩٣) بلفظ متقارب .

وهو جزء من حديث رواه الترمذى فى : السنن : كتاب صفة القيامة والرقائق والورع [صحيح الترمذى بشرح الإمام ابن العربى المالكى ٩ / ٣١٥] عن الزبير بن العوام . ورواه أيضا فى : أبواب الاستئذان : باب ما جاء فى إفشاء السلام [صحيح الترمذى بشرح الإمام ابن العربى المالكى ١٠ / ١٦٠] عن أبى هريرة .

وابن ماجه فى: السنن : المقدمة : باب فى الإيمان ١ / ٢٦ رقم (٦٨) ، وفى : الأدب : باب إفشاء السلام ٢ / ١٢١٧ ، ١٢١٨ رقم (٣٦٩٢) بنحو رواية أبى داود .

والإمام أحمد فى : المسند ١ / ١٦٥ ، ١٦٧ ، ٢ / ٣٩١ ، ٤٤٢ ، ٤٧٧ ، ٤٩٥ ، ٥١٢ .

وورد فى : الفتح الكبير ٣ / ٢٩٨ بلفظ : « والذى نفسى بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا . . . » .

وأورده الإمام النووى فى : رياض الصالحين : كتاب السلام : باب فضل السلام والأمر بإفشائه ص ٢٨٦ من حديث أبى هريرة به، وعقب عليه بقوله: «رواه مسلم».

كما أورده الشيخ عبد البديع صقر فى : مختار الحسن والصحيح ص ١٨٨ رقم (٦٠٤) من حديث أبى هريرة به ، وعقب عليه بقوله : « رواه مسلم » .

معناه :

تضمن هذا الحديث أدبا رفيعا من الآداب الإسلامية الاجتماعية التى لها دور كبير فى التأثير على نفوس الناس وكسب ثقتهم ومودّتهم ، وإشعارهم بالأمن والأمان والطمأنينة . إنه الأمر بإفشاء السلام ونشره بين الجماعة المسلمة ، إشارة إلى استتاب الأمان وشيوعه بين كل أبناء المجتمع ، وليكون وسيلة قوية من وسائل الإلف والحب والمودة .

وحتى يحمل النبى ﷺ الجماعة المسلمة على الامتثال والسمع والطاعة بالنسبة لهذا الأدب الرفيع ، ربط ذلك بالمنافع المترتبة عليه ، فقال : إن دخولكم الجنة وفوزكم بنعيمها متوقف على الإيمان ، وإن تذوقكم لحلاوة الإيمان متوقف على محبة بعضكم بعضا محبة خالصة لله ، وإن شيوع هذه المحبة لن يكون إلا بإفشاء السلام ، ونشره بينكم ، وهكذا فإن من يدرك هذه المنافع المترتبة على إفشاء السلام الواردة فى الحديث لا يسعه إلا الامتثال والتنفيذ والتطبيق ، وصدق رسول الله ﷺ حين يقول عن نفسه : « أوتيت جوامع الكلم » (١) .

طائفة من النصوص فى فضل السلام والأمر بإفشائه :

قال الله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا** ﴾ [النور : ٢٧] ، ﴿ **فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ**

(١)جزء من حديث أخرجه مسلم فى : الصحيح : كتاب المساجد ومواضع الصلاة ١ / ٣٧١ ، ٣٧٢ رقم (٥٢٣) من حديث أبى هريرة ولفظه : « . . . ونصرت بالرعب على العدو ، وأوتيت جوامع الكلم ، وبينما أنا نائم أُتيت بمفاتيح خزائن الأرض، فَوضِعَتْ فى يدى » ، وفى الباب أحاديث غيره بألفاظ مختلفة . وأخرجه البخارى فى: الصحيح : كتاب الجهاد : باب قول النبى ﷺ: « نصرت بالرعب مسيرة شهر » ٤ / ٦٥ بلفظ : « بعثت بجوامع الكلم . . . » ، وكتاب التعبير: باب رؤيا الليل ٩ / ٤٣ بلفظ : « أعطيت مفاتيح الكلم . . . » ، وباب المفاتيح فى اليد ٩ / ٤٧ ، وكتاب الاعتصام : باب قول النبى ﷺ « بعثت بجوامع الكلم » ٩ / ١١٣ ، والترمذى فى : الصحيح : أبواب السير : باب ما جاء فى الغنيمة [صحيح الترمذى بشرح الإمام ابن العربى المالكى ٧ / ٤٢] بلفظ : « أعطيت جوامع الكلم » ، والنسائى فى : السنن : كتاب الجهاد:باب وجوب الجهاد ٦ / ٣ ، ٤ بلفظ رواية البخارى الأولى ، والإمام أحمد فى : المسند ٢ / ٢٦٤ ، ٢٦٨ ، ٤١٢ ، ٥٠١ .

عند اللَّه مُبَارَكَةً طَيِّبَةً ﴾ [النور : ٦١] ، ﴿ وإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ﴾ [النساء : ٩٦] ، ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ ﴾ [الذاريات] .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ؛ أن رجلا سأل رسول الله ﷺ : أى الإسلام خير؟ قال: « تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف »(١) .

وعن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال : « لما خلق الله آدم ، قال : اذهب ، فسلّم على أولئك - نفر من الملائكة جلوس - فاستمع ما يحيّونك ، فإنّها تحيتك ، وتحية ذرّيتك ، فقال : السلام عليكم ، فقالوا : السلام عليك ورحمة الله، فزادوه : ورحمة الله »(٢) .

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال : أمرنا رسول الله ﷺ بسبع : بعيادة المريض ، واتباع الجنائز ،وتشميت العاطس ، ونصر الضعيف ، وعون المظلوم ، وإفشاء السلام ، وإبرار المقسم(٣) .

---

(١) أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب الإيمان : باب إطعام الطعام من الإسلام ١ / ١٠ ، وكتاب الاستئذان : باب السلام للمعرفة وغير المعرفة ٨ / ٦٥ واللفظ له ، وأخرجه مسلم فى : الصحيح : كتاب الإيمان : باب بيان تفاضل الإسلام وأى صورة أفضل ١ / ٦٥ رقم (٣٩) من حديث عبد الله بن عمرو به ، وأبو داود فى : السنن : كتاب الأدب : باب إفشاء السلام ٤ / ٣٥٠ رقم (٥١٩٤) ، والنسائى فى : السنن : كتاب الإيمان : باب أى السلام خير ٨ / ١٠٧ ، وابن ماجه فى : السنن : كتاب الأطعمة : باب إطعام الطعام ٢ / ١٠٨٣ رقم (٣٢٥٣) ، والإمام أحمد فى : المسند ٢ / ١٦٩ بلفظ : « أى الأعمال خير . . . » .

(٢) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب الاستئذان : باب بدو السلام ٨ / ٦٢ من حديث أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : « خلق الله آدم على صورته طوله ستون ذراعا ، فلما خلقه قال : اذهب فسلم على أولئك النفر من الملائكة جلوس فاستمع ما يحيونك ، فإنها تحيتك وتحية ذريتك ، فقال : السلام عليكم ، فقالوا : السلام عليك ورحمة الله وبركاته ، فزادوه ورحمة الله . . . » ، وأخرجه مسلم فى : الصحيح : كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها : باب يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير ٤ / ٢١٨٣ ، ٢١٨٤ رقم (٢٨٤١) من حديث أبى هريرة به ، والإمام أحمد فى : المسند ٢/ ٣١٥ بنحوه . وورد فى : الفتح الكبير ٢٠ / ٨٨ ، ٨٩ .

(٣) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب الاستئذان : باب إفشاء السلام ٨ / ٦٥ بهذا اللفظ وتكملته : « . . . ونهى عن الشرب فى الفضة ، ونهانا عن تختم الذهب ، وعن ركوب الميائر ، وعن لبس الحرير ، والديباج ، والقسى ، والإستبرق » ، ورواه أيضا فى الجنائز : باب الأمر باتباع الجنائز ٢/ ٩٠، وفى المظالم: باب نصر المظلوم ٣/ ١٦٩، وفى النكاح: باب حق إجابة الوليمة والدعوة ٧/ ٣١، وفى الأشربة: باب آنية الفضة ٧ / ١٤٦ ، ١٤٧ ، وفى اللباس : باب الميثرة الحمراء ٧/ ١٩٧، ١٩٨ ، وفى الأدب : باب تشميت العاطس إذا حمد الله ٨/ ٦١ بتقديم وتأخير وذكر: « . . . إجابة الداعى، ورد السلام » بدلا من : « نصر الضعيف ، وإفشاء السلام » ، وأخرجه مسلم فى : الصحيح : كتاب اللباس والزينة: باب تحريم استعمال إناء الذهب والفضة على الرجال والنساء ٣/ ١٦٣٥ وقم (٢٠٦٦) =

وعن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يا أيها الناس ، أفشوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وصِلُوا الأرحام ، وصلّوا والناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام » (١) . . . إلى غير ذلك من النصوص .

هذا ، وللسلام أحكام وآداب يمكن الرجوع إليها فى كتب الفقه والحديث .

ما يستفاد من الحديث دعويا وتربويا :

ويستفاد من هذا الحديث دعويا وتربويا ما يلى :

١ ـ الحرص على إفشاء السلام وشيوعه بين المسلمين ، لتشعر النُّفوس بالأمن والأمان ، والطمأنينة ، ولتقترب القلوب من بعضها ، فيسهل استمالتها وتطويعها لما يجب أن تكون عليه ، ويسهّل على المسلم الالتزام بهذا الأدب العالى :

* أن يتذكر مقدار الأجر والثواب الذى يجنيه من وراء إفشاء السلام .

* وأن يتذكر أنه وسيلة ناجحة فى التقريب بين القلوب وربطها ببعضها البعض .

* وأن يتذكر أنه حق المسلم على أخيه المسلم كما مرّ فى الحديث آنفا .

* وأخيرا ، أن يتذكر أنه مأمور به من قِبَل الله ورسوله ، وما على المؤمنين الصادقين إلا أن يقولوا : سمعنا وأطعنا ، ليكونوا بذلك من المفلحين الفائزين .

٢ ـ من أساليب الدعوة والتربية تذكير المسلمين بالفوائد والمنافع المترتبة على ما يطلب منهم أن يقوموا به من قول أو فعل ، فإن ذكر هذه الفوائد والمنافع يحرك النفوس، ويدفعها إلى العمل الدائب المستمر ؛ لتظفر بمطلوبها ، وتنال مرغوبها ، إذ الإنسان ـ كما يقولون ـ ابن مصلحته أو منفعته .

= بنحو روايات البخارى ، والترمذى فى: السنن : كتاب الأدب [صحيح الترمذى بشرح ابن العربى المالكى ١٠ / ٢٥٢] ، والنسائى فى : السنن : كتاب الجنائز : باب الأمر باتباع الجنائز ٤ / ٥٤ ، وفى الأيمان والنذور : باب إبرار القسم ٧ / ٨ ، وأحمد فى : المسند ٤ / ٢٨٤ ، ٢٨٧ ، ٢٩٩ .

(١) الحديث أخرجه الترمذى فى : السنن : كتاب صفة القيامة [صحيح الترمذى بشرح ابن العربى المالكى ٩/ ٣٠٠] دون ذكر : « وصلوا الأرحام » ، وأخرجه ابن ماجه فى : السنن : كتاب إقامة الصلاة : باب ما جاء فى قيام الليل ١ / ٤٢٣ رقم (١٣٣٤) ، وفى الأطعمة : باب إطعام الطعام ٢/ ١٠٨٣ رقم (٣٢٥١) ،والدارمى فى : السنن: كتاب الصلاة : باب فضل صلاة الليل ١ / ٣٤١ ، وفى الاستئذان : باب فى إفشاء السلام ٢/ ٢٧٥ ، وفى الأطعمة : باب فى إطعام الطعام ٢ / ١٠٩ بلفظ : « اعبدوا الرحمن ، وأفشوا السلام ، وأطعموا الطعام ، تدخلوا الجنان » ، والإمام أحمد فى : المسند ٢/ ١٧٠ ، ١٩٦ بنحو رواية الدارمى الأخيرة ، وورد فى : الفتح الكبير ٣ / ٣٨٠ .